بالنفع دومًا معرفةُ حقيقة ما يفكّر المسلمون في شأن المسيحيّين وكتبهم المقدسة، وأسرارهم وتوحيدهم وكنيستهم، وأمانتهم لرسالة يسوع المسيح. فهناك حدود للحوار يجب مراعاتها إذا أراد المتحاورون اجتناب بعض الحوادث المؤسفة التي تسيء العلاقات في ما بينهم. ولكن العمل المشترك هو المجال الواسع الذي يمكّن المسيحيّين والمسلمين مذ الآن من إعطاء الدليل فيه على أن مصالحتهم حقيقيّة، تقوم على مجموع من القِيم المشتركة يتقاسمونها كذلك بدرجات متفاوتة مع ذوي النية الصادقة. فهناك بين الجميع وجوه من التعاون الإنسانيّ ضرورية.

وفي ما هو أبعد من هذا العمل المشترك، لا بدّ للحوار بين المسيحيّين والمسلمين من أن يتصدّى على نحو جدّي لمَواطِن التقارب الممكن في القيم الروحية، لأنه قد يكون من دواعي الأسف أن يقتصر اللقاء والمشاركة بين المؤمنين على القيم الدنيويّة وحدها. فهناك قيم أسمى ترتبط بها مسيرة المؤمنين الروحيّة، وفيها يكتشف المسيحيّون والمسلمون أن بينهم أمورًا كثيرة يتقاسمونها على صعيد اختبارهم الدينيّ. فإذا بلغ إيمَان كل واحد إلى هذا الحدّ استطاع عندئذ أن يتطهّر بقوة ويتعمّق بصدق، بمقدار ما يلاقي إيمَان الآخر «في الحقيقة». وعندئذ يرتفع المسيحيّون والمسلمون إلى صعيد «التنافس الروحيّ» الأسمى، الذي لا يسعه إلّا أن يزيد من تقاربهم. وليس من المحظور عليهم، في أمانة كل منهم للتراث الدينيّ الحيّ الذي يغذّيه ويرقّيه، أن يبلغ الى رجاء مشترك، ألا وهو أن يروا الله يبيّن لهم أخيرًا مواطن التقارب الروحيّ التي تنتظرهم، قبل أن ينبئهم أخيرًا في ذات يوم «بِمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» (القرآن ٥، ٤٨).

وهكذا يدعو الله المسيحيّين والمسلمين، وهم معًا على الطريق، إلى تنمية حوارهم على المستويات الأساسيّة الأربعة للتواصل بين الناس: فلهم أن يمارسوا في حياتهم «حوار القلوب» السخيّ حيث يستطيع الفريقان المشاركة «كإخوان»، و«حوار الحياة» الشجاع فيبذلون جهودهم في سبيل تعزيز القيم الإنسانيّة، التي ليس لها من ضامن سوى الله وحده، و«حوار الكلام» الجريء الذي يصير تعبيرًا عن الله وعن الانسان في آن واحد، و«حوار الصمت» الجَسُور حيث يتكلّم الله مباشرة في قلب كل واحد من المتحاورين. فالصمت إذن هو الإطار الذي فيه يبدأ وينتهي كل

حوار حقيقيّ، لأنه في «صمت الإيمان» وحده يستطيع المؤمن أن يستشفّ ما هو مصير أخيه الأبديّ.

أما المسيحيّ فيشعر من ناحيته بأن يسوع المسيح يدعوه إلى أن يعيش معه اليوم مرة أخرى مهمّته ورسالته كوسيط، ليصالح البعيدين مع القريبين. وهو يعلم أن عليه، أن يخطو كمعلمه الخطوة الأولى، وان يتقبّل بادئ ذي بدء، في صلاته وقلبه، «كُلَّ مَا هُوَ حَقٌّ وَكَرَامَةٌ، وَعَدْلٌ وَنَقَاوَةٌ، وَلُطْفٌ وَشَرَفٌ، وَكُلَّ مَا هُوَ فَضِيلَةٌ، وَكُلَّ مَا يُمْتَدَحُ» (في ٤، ٨). وسيناك في حواره الشخصيّ مع الآب، وباسم يسوع المسيح نفسه، أن يعيش في الروح القدس تلك المصالحة بين جميع الناس، في ذلك الذي يتوقّعونه أو يشيدون به أو يصغون إليه. فيعلم بالاختبار أن هذا الحوار ليس دائمًا بالسهل، وأنه سيصطدم مرارًا بمن يعارضه ولا يفهمه، بل بمن يرفضه وينبذه. فالحوار هو أيضاً طريق آلام طويلة تجعل المسيحيّ يشترك في الصليب وفي القيامة مع ذلك الذي هدم «الجدار الفاصل» ويكِل إليه اليوم «مهمّة المصالحة».